الحصر: ليلى بعلبكي وإيتيل عدنان من لبنان، غادة السمان من سوريا، سميرة عزام وفدوى طوقان من فلسطين. لم تعبر كتاباتهن فقط عن الحرية والثورة على الصيغ القديمة في التعبير الأدبي، وإنما أيضاً عن الحرية والثورة كوجهة نظر في الحياة.

كتاب ليلى بعلبكي *أنا أحيا* لم يعد يذكر كثيراً اليوم، إلا أنه لا يزال رواية شجاعة تمثل ظهور المرأة كفرد في بيروت «الستينات الذهبية» في وصف غادة السمان لاوضاع العربيات التي لا تطاق وللقدر الغامض الذي يواجهنه، تتخطى الحدود القومية لتنضم إلى المظلومين في العالم كله:

> إنني عبدة سوداء على الرغم من جلدتي البيضاء لانني امرأة عربية. ضحية الوأد في رمال صحراء الجاهلية، أنا الآن ضحية وأد جديد يدفنها في الذل الموروث. إنني لا أبحث عن الحب، أبحث فقط عن إمرأة وحيدة ومعذبة مثلي لأمسك بيدها فيما نضع كلتانا بين أشواك الحقول، نخلف أولاداً للقبيلة، أولاداً لا يلبثون أن يتعلموا أن يكرهونا.

غضب إيتيل عدنان الفريد في «الرؤيا النبوئية العربية» (١٩٨٠) تنذر بمصائب مستقبلية. ولا غرو أن تكون من أول الكتاب الذين تناولوا الحرب الاهلية اللبنانية موضوعاً للأدب (ست ماري روز، ١٩٧٨ و ١٩٨٢). ولكن، أهم من ذلك، طورت عدنان بعد هذا بقليل أسلوباً أنّث عملية الكتابة نفسها.[٢] مع إيتيل عدنان تحررت الكاتبات من عبء الاضطرار إلى البرهان على أنهن قادرات على إنتاج أدب.

ردّ الفعل المعادي

في الثمانينات عادت «مسألة المرأة» إلى نقطة الصفر. كانت حقوق النساء في قلب ردة الفعل الأصولية المعادية للحداثة المشوّهة في الربع الأخير من القرن. تضمن برنامجها الموضوعات عينها التي أثارتها الرائدات: الحجاب، الفصل بين الجنسين، تحريم العمل على النساء (ما أسخف هذا الحل المأساوي لمشكلة البطالة!) مساواة النساء القانونية والسياسية، تعدد الزوجات، الخ.

لسوء الحظ كانت حقوق النساء ولا تزال أول التنازلات التي تتنازل عنها الانظمة العربية أمام الضغوطات الأصولية. عبّر عن ذلك جاك بيرك خير تعبير حين تكلم عن النساء «كآخر أثر لسلطة الرجال» في العالم العربي/الاسلامي. وهذا ما جعلهن أكباش فداء مثاليات لإحباطات المجتمع ومشكلاته. فالمجتمع الذكوري مُبعد ومقموع ومحبط في طموحاته الوطنية والاجتماعية، قلق الهوية، يواجه مستقبلاً مجهولاً في عالم يزداد عولمة، فما أسهل أن ينتقم هذا المجتمع من النساء ليثبت تفوقه الذكوري. ما أشد عقم هذه الاعمال الرمزية التي هي في غير موضعها، والتي تحاول عبثاً أن تغطي عجزنا عن مواجهة التحديات والتغييرات والمشكلات الحقيقية في عالم ما بعد الحداثة.

قبل ما يزيد على ستة عقود تناولت نظيرة زين الدين القضية نفسها حول جعل النساء كبش فداء في ردها على نقادها الذكور:

> لم تتطوروا مع الزمن. لقد طوى الزمن ألويتكم ولقد ضيعتم تراث أجدادنا. أتريدون الآن أن تنشروا ألويتكم فوق وجوه نسائكم، متخذين نساءكم بديلاً عن المملكات التي اضعتموها؟[٣]

الهوامش

١. الحب في حضارتن الاسلامية (١٩٨٣)، ما وراء الحجاب: الجنس كهندسة اجتماعية (١٩٨٧)، الحريم السياسي (١٩٨٧)، الحجاب والخاصة الذكورية: تفسير نسوي لحقوق النساء في الاسلام (١٩٩١)، الاسلام والديموقراطية: الخوف من الحداثة (١٩٩٤).
٢. ازهار الربيع تمتلك؛ ومظاهر الرحلة (١٩٩٠)، عن المدن والنساء (١٩٩٣)، باريس حين تكون عارية (١٩٩٣).
٣. الفتاة والشيوخ، ١٩٢٩، ج ١، ص ٤٠.

الحركات النسائية في المغرب:

مع التوكيد على تونس، المغرب والجزائر

ربيعة ناصري
أستاذة في جامعة الرباط في المغرب وناشطة في الحركة النسائية المغربية.

تُصوّر نساء المغرب والعالم العربي إجمالاً على أنهن دونيات، خاضعات، إتكاليات، يعشن في مجتمع ذكوري أبوي. بصرف النظر عن أن هولاء النساء لم يكنّ قط خاضعات تماماً، فان خبراتهن مع المجتمع الأبوي تختلف باختلاف بيئتهن الاجتماعية، مستوياتهن العلمية، نشاطاتهن ووضعهن المهني. إنهن لجأن دائماً الى ما لديهن من وسائل لمقاومة الإخضاع. الحركة النسوية التي تبرز الآن في الحياة السياسية والاجتماعية المغربية تمثل شكلاً حديثاً لهذه المقاومة، وقد ورثت تقليداً قديماً لمقاومة المغربيات كل أشكال الظلم.

منذ استقلال المغرب (١٩٥٦) وتونس (١٩٥٧) والجزائر (١٩٦٢) عرفت هذه البلاد تغييرات جوهرية حوّلت البنى الاجتماعية والعائلية فيها بالإضافة إلى العلاقات بين الرجال والنساء. إلا أن مقاومة التغيير لا تزال شديدة، فكلا الرجال والنساء يحاولون المحافظة على تقاليد ملتبسة يغالون في تقديرها وهي منتمية الى ماض اختفى الى الابد.

في أعقاب الإستقلال كان عدد المتعلمات في المغرب ضئيلاً، إلا أن النساء يشكلن الآن ٤ من كل ١٠ طلاب جامعيين في كل من البلاد الثلاثة. على الرغم من الفوارق بين هذه البلاد الثلاثة، فإن النشاط المهني فيها جميعاً يثبّت قيمة التعليم، إن على مستوى أهمية نشاط النساء أو بالنسبة الى ميادين عملهم. الزيادة المذهلة في طلب النساء العمل تؤكد عظم التغييرات الحاصلة باستمرار.

في كل من البلاد الثلاثة يبلغ الآن متوسط سن الفتيات عند زواجهن الأول ٢٦ سنة في المغرب، ٢٧ في الجزائر و٢٩ في تونس. ثم أن بقاء المرأة عزباء لم يعد يعتبر أمراً شاذاً أومشيناً. النساء اللواتي في مراكز إدارية عالية يعشن وحدهن وهن مندمجات تماماً في مجتمعاتهن، مع أن الزواج لا يزال هو الغالب ومؤسسة يقدّرونها.

ثم أن النساء ينجبن أقل مما في الماضي. إستخدام وسائل منع الحمل تنتشر حتى في الارياف، ولم يبقَ النموذج المثالي للعائلة هوالعائلة الأبوية «الواسعة»، وإنما أصبح العائلة «النووية» الصغرى المكوّنة من الزوجين وأولادهما.

وقد أدخلت هذه التغييرات تحولات أخرى في الممارسات الاجتماعية والعائلية: مثلاً، لم تعد ولادة أنثى تعتبر كارثة، وتميل الأسر الى عدم التمييزبين البنات والبنين، إن في ما يتعلق بالتعليم أو بملء أوقات الفراغ. عدد من الدراسات التي أجريت في المغرب بيّنت أن الأهل قد يعطون الأولوية للبنين حين توجد معوقات مثل الفقر المدقع أو بعد المؤسسات التعليمية، ولكن في غياب مثل هذه المعوقات لا يميزون بين أولادهم.

إلا أن دول المغرب لم تعترف بعد بهذه التغييرات الإجتماعية والإقتصادية. منذ إستقلال كل منها تبنى قادتها السياسيون إجمالاً إجراءات سعت الى تغيير مجتمعاتهم عن طريق التعليم ونشاط النساء. ولكنهم، في الوقت نفسه، بذلوا كل ما في